



دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال
Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

قدمت هذه الورقة في ندوة "دولتا السودان.. فرص ومخاطر" بالدوحة

١٤ و ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢

العلاقات الصراعية بين دولتي السودان وتأثيرها على المصالح السودانية والعربية

د. أماني الطويل

مدير الوحدة الإفريقية بمركز الأهرام للدراسات

الإستراتيجية



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES



دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

مقدمة



د. أماني الطويل

تشهد العلاقات بين دولتي السودان أحد سيناريوهات ثلاثة كانت متوقعة وقت عقد اتفاقية نيفاشا للسلام عام ٢٠٠٥، وهو السيناريو الصراعى بين جوبا والخرطوم، حيث كان السيناريو الأول هو الوحدة، والثاني هو علاقات تعاونية لا صراعية، بينما كان السيناريو الثالث هو السيناريو الصراعى المائل حاليا، من هنا يبدو السؤال المشروع هو: لماذا وصلت دولتي السودان إلى الحالة الصراعية؟.

نستطيع القول إن الوصول للحالة الصراعية في السودان يكمن وراءها عدد من الأسباب تستعرضها هذه الورقة، التي ستسعى أيضا إلى رصد انعكاسات الحالة الصراعية على المصالح السودانية في دولتي الشمال والجنوب، وأيضا على المصالح العربية في السودان على تنوعها.

أولا: أسباب السيناريو الصراعى بين دولتي السودان

لا يمكن النظر إلى الحالة الصراعية بين شمال وجنوب السودان بمعزل عن تفاعلات المرحلة الانتقالية بين الطرفين، في إطار حكومة الوحدة الوطنية في الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١١، ولا بمعزل عن الإطار التاريخى للصراع بين شمال السودان وجنوبه، وهو الصراع الذي كان أهم سمات حكومات الاستقلال الوطنى السودانية، والمتضمن حربا أهلية قاسية، وقد تضافرت عوامل متنوعة لاستمرار الحالة الصراعية بين دولتي شمال وجنوب السودان بعد إعلان استقلال دولة الجنوب، وهى التي نبلورها كالتالى :

١ - الدور الخارجى، وخصوصا الأمريكى، في العلاقات بين الدولتين، كان من أهم أسباب هذه الحالة، حيث نظر الشمال إلى التفاعل الأمريكى مع الجنوبيين باعتباره مشروعا لإسقاط نظام حكم حزب المؤتمر الوطنى الحاكم في السودان، خصوصا مع





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

دعم الجنوب جزئيا لمسارات المحكمة الجنائية الدولية التي تسعى للقبض على الرئيس البشير.

٢ - الدور التحريضي والعنصري الذي قام به منبر السلام العادل وصحيفة الانتباهة طوال الفترة الانتقالية، بما نتج عنه -ضمن عوامل أخرى- تصاعد الهواجس الجنوبية بشأن العلاقة الوحودية ومكانة المواطن الجنوبي فيها. وفى هذا السياق، تم إجهاض اتفاق أديس أبابا بين د. نافع على نافع، ومالك عقار.

٣ - المنهج الشمالي في تبني المتمردين على سلطة دولة الجنوب (جورج آطور نموذجاً)، ورد الفعل الجنوبي في تبني تحالف القوى الثورية بذراعها العسكري حركة العدل والمساواة.

٤ - طبيعة دائرة صناعة القرار السياسي في شمال السودان، والتي تتميز بافتقادها إلى المؤسسية، وعدم استقرار الأوزان النسبية لعناصرها بين صعود وهبوط، وشخصنة القرار ممثلاً في الرئيس (١).

٥ - المنهج الجنوبي في تسديد الفواتير للغرب صاحب الفضل الأكبر في حصول الجنوب على استقلاله على الصعيدين السياسي والاقتصادي. ولعل نماذج الانحياز لمنهج الجنائية الدولية، وبيع مساحات واسعة من الأراضي الزراعية لشركات أميركية بأبخس الأسعار (٢) مؤشرات دالة على هذا المنهج.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

٦ - صعود تيارات الإسلام السياسي إلى صدارة المشهد في كل من ليبيا ومصر، حيث أن تقدير الموقف الجنوبي يصب نحو الاتجاه الذي يرى أن حكومتي كل من مصر وليبيا التي سوف يسيطر فيها الإسلاميون على عملية صناعة القرار سوف تتجه إلى تقديم دعم غير محدود لشمال السودان، لانتمائه إلى نفس المرجعية السياسية، بما ينطوي عليه ذلك من دعم لعناصر القوة في شمال السودان، وصعود وزنه النسبي في مواجهاته مع دولة الجنوب الناشئة. وفي هذا السياق، نرصد حرص الرئيس البشير على إعلان دعمه لثورة ليبيا بالمال والسلاح.

٧ - البترول كعنصر داعم للصراع، فإذا كان البترول يشكل عنصرا حيويا لموازنة شمال السودان، فهو بلا شك عنصر إستراتيجي لجنوب السودان، حيث تعتمد عليه الموازنة اعتمادا كاملا. من هنا، فإن إقدام الشمال على منهج الضغط (٣) بهدف الوصول إلى عقد المقايضة (٤) واستعمال آلية البترول في هذا السياق بهدف الوصول إلى اتفاقات محددة في موضوعات الخلاف الأساسية، ومنها الحدود وأبيي ومناطق التماس، كان من ضمن عوامل لجوء الجنوب للاستقواء بالغرب وإسرائيل، حتى يمكن التوصل إلى اتفاقات عادلة بالمعيار الجنوبي لموضوعات الخلاف.

٨ - اندلاع أزمة دارفور، بما شكلته من تعميق الفجوة على أسس عرقية بين المركز والأطراف، وهو ما شكل قاعدة تفاعل مناسبة ما بين جنوب وغرب السودان، كان المركز فيها هو العدو المشترك.

٩ - إهمال طرفي الحكومة الوطنية خلال الفترة الانتقالية للآليات العالمية المستخدمة في مجتمعات ما بعد الصراع العسكري والحروب الأهلية، وهي الآليات التي كان من شأنها خلق بيئة مناسبة للتفاعل بين الأطراف على المستويين السياسي والاجتماعي.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

ثانيا: انعكسات الحالة الصراعية على المصالح السودانية والعربية

أ- مصالح الخرطوم

يمكن رصد حجم التكاليف الإجمالية الناتجة عن صراع دولتي السودان، لتتمثل في الخصم من عناصر القوة الشاملة لكلا الطرفين، وتحول السودان -كما لبنان- إلى ساحة لإدارة الصراعات الدولية والإقليمية على المستوى الإفريقي، كما ينفتح كل من شمال وجنوب السودان على سيناريوهات التجزئة والتفتت. وفي هذا السياق يمكن رصد الخسائر الشمالية في النقاط التالية:

١ - قد تتحول جنوب السودان من دولة ومن مصدر دعم لعناصر قوة دولة شمال السودان إلى مصدر للتهديد للدولة الشمالية، بل قد يصل الأمر بين الدولتين إلى أعلى مصادر التهديد، إذا وجدت (أفريكوم) مكانا لها في جنوب السودان، أو حتى إن أوجدت واشنطن قاعدة عسكرية محدودة في جنوب السودان وهو خيار يدرسه الجنوبيون حاليا.(٥)

٢ - إمكانية تراجع الدعم الصيني للسودان الشمالي في ضوء مراجعة بكين لمجمل إستراتيجياتها، وطبيعة السياسات المترتبة على الإستراتيجيات الصينية الجديدة في المنطقة العربية وإفريقيا بعد ثورات الربيع العربي، والتي من الممكن أن تشكل تهديدا للمصالح الصينية الإستراتيجية في ضوء نخبة سياسية جديدة.

٣ - الخصم من الموارد والاحتياطيات النفطية (حوالي ٧٠%)،(٦) بما يعنيه من خسارة فادحة لموارد الموازنة العامة في شمال السودان، وبما يشكله أيضا من انعكاسات على مستقبل النظام السياسي، خصوصا في ضوء صعود الوزن النسبي للمواطن





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

العادي ومطالبه في معادلة الحكم والقدرة على استمراره واستقراره، وذلك في ضوء قدرة هذا المواطن على إزاحة رمز الحكم في مصر ومجمل النظام السياسي في كل من ليبيا وتونس.

٤ - تحول مناطق التماس إلى مناطق صراعية تهدد باندلاع حرب شاملة بين الشمال والجنوب، (٧) وذلك في ضوء تحولات توازنات القوى المتوقعة بعد الشراكات الإستراتيجية بين دولة جنوب السودان وإسرائيل.

٥ - افتقاد القيمة النسبية لأوراق الضغط الشمالية إزاء جنوب السودان، والتي تتمثل في إتاحة فرصة عيش الجنوبيين في الشمال، أو حصولهم على الجنسية الشمالية، أو التعاون في ملفي البترول والتدفق السلعي من الشمال للجنوب، حيث من المتوقع أن يترتب على ذلك زيادة اندفاع دولة الجنوب نحو محيطها الداعم على أسس عرقية في كل من كينيا ويوغندا وتساعد تأثير هذه الدول في عملية صناعة القرار الجنوبي.

٦ - صعود الاستقطابات على أسس دينية وعرقية في بيئة حوض النيل بين الإسلام والمسيحية، وبين العرب والأفارقة، بما يعنى حرمان الفريقين الشمالي والجنوبي من محيطه الآخر المغاير، وما يمثله ذلك من خسارة الجنوبيين لمحيطهم العربي، وخسارة الشماليين لمحيطهم الإفريقي، والنتائج ربما تكون تطرف إسلامي في الشمال (٨) ينتج عنه توترات إقليمية مماثلة لما جرى في النصف الأول من التسعينات بالسودان، وأيضا تكوين تحالفات على أسس إثنية إفريقية في الجنوب بما ينذر إجمالا بحالة احتقان في مجمل العلاقات المرتبطة بدول حوض النيل، وخسائر إستراتيجية للأطراف السودانية الشمالية .





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

ب- مصالح جوبا

الخسائر الجنوبية الإستراتيجية من تصاعد الحالة الصراعية في البيئة السودانية الإجمالية تتمثل في النقاط التالية:

- ١ - تراجع قدرات المشروع النهضوي والتنموي الذي وعد به رئيس دولة جنوب السودان مواطنيه.
- ٢ - تراجع قدرات دولة جنوب السودان في تدشين علاقات تعاقدية عادلة بشأن الموارد وخاصة البترول بما يتيح للشركات العالمية عملية نهب منظم للموارد الجنوبية في حالة مماثلة للعديد من الدول الجنوبية.
- ٣ - خسارة حالة الاستقرار الأمني والسياسي التي تشكل أهم عناصر جذب الاستثمارات الأجنبية.
- ٤ - خسارة العلاقة بالمحيط العربي بما يمثله من إمكانية دعم تنموي من جانب صناديق التنمية العربية وذلك في ضوء أن المساعدات الإسرائيلية من المتوقع أن تقتصر على تقديم الدعم الأمني لمؤسسة الحكم في الجنوب، وعمليات دعم القدرات للكوادر الفنية الجنوبية على نطاق محدود.
- ٥ - تصاعد حالة التهديد لمؤسسة الدولة الوليدة في جنوب السودان، والتي تعاني من هشاشة على نحو يهددها بالشرذمة، في ضوء تراجع فرص المشروع التنموي وتصاعد فرص الحروب القبلية.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

ج- المصالح المصرية

أقدمت القاهرة على عقد ورش العمل بين رموز سياسية من شمال السودان وجنوبه في أغسطس / آب ٢٠١٠، وذلك لحث الطرفين على تبني علاقات تعاونية فيما بينهما، وقد تضمنت هذه الورش أفكارا متنوعة عن فرص التعاون بين دولتي شمال وجنوب السودان بعد الانفصال، الذي كان متوقعا من الجانب المصري في هذا التوقيت. وقد أفردت هذه الورش مساحات مقدرة لخطط التعاون الاقتصادي في منطقة التماس بين الشمال والجنوب.

وقد حاولت القاهرة لفت الانتباه إلى وجود منافع ممكنة علي الجانبين، من شأنها تقوية الموقف الذاتي لكلا الطرفين، كل في قطاعه، سواء الشمالي أو الجنوبي، وذلك على الصعيد الاقتصادية المتعددة، في مجالات الموارد المستخرجة كالنفط والمعادن، وكذلك الاهتمام بتنمية الموارد المائية والحيوانية، فضلا عن الإمكانيات الزراعية الهائلة. (٩)

وقد تنطوي هذه الإمكانيات -في حال استغلالها مع جود حالة من الرشادة من جانب اللاعبين السياسيين في شمال السودان وجنوبه- على دعم لخطط النهضة في البلدين، وإفادة سكان هذه المناطق على نحو مباشر، والذين قدروا بحوالي ١٤ مليون نسمة. وقد أستند التقدير المصري في هذا المجهود إلى محاولة يتم من خلالها تجنيب السودان وجواره استقطابات إقليمية على أسس عرقية لا يحتاجها أحد، خصوصا في بيئة دول حوض النيل، والتي يسهم فيها أي نوع من الاستقطابات في إنتاج الصراعات المهددة للاستقرار والتنمية.

وإلى جانب الجهود المصرية هناك أيضا جهود نمساوية اعتمدت على تفعيل هذا المنهج مع الأطراف الشمالية والجنوبية، في محاولة لتجنب الصراع في بلد تنتشر فيه الأسلحة الصغيرة على نحو مرعب. على أن فشل الجهود المصرية والأوروبية يمكن أن يتسبب في خسائر على النحو التالي:





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

- صعوبة تنفيذ الإستراتيجيات المصرية الرامية إلى التوازن في السياسات والعلاقات مابين دولتي السودان، في ضوء وجود مصالح حيوية مصرية في كلا البلدين، وطبيعة الحساسيات المتصاعدة في كل بلد إزاء الآخر، واعتبار أن أي تقارب بين القاهرة وأحد الطرفين هو دعم غير مطلوب من الطرف الآخر.
- تأثير الوجود الأميركي والإسرائيلي في جنوب السودان على صناعة القرار الجنوبي بما يشكله من تهديد للمصالح المصرية بشكل مباشر.
- صعود للأوزان الإقليمية لدول شرق إفريقيا على حساب الوزن المصري، وهى تحولات مهددة للمصالح المصرية في مجمل إقليم شرق إفريقيا، سيما في الصومال، ومؤثرة بشكل مباشر على البيئة الإستراتيجية في البحر الأحمر.
- إضعاف فرص مصر في زيادة حصتها من المياه التي تحتاجها بشدة، بعد وصولها إلى حالة الفقر المائي، حيث أن نصيب الفرد المصري من المياه لا يتجاوز ٧٠٠ متر مكعب من المياه سنويا، كما تم تغيير التركيب المحصولي المصري مرتين ليناسب صعوبة تلبية الاحتياجات المصرية في مجال الزراعة.(١٠)
- تصاعد الاستقطاب على أسس عرقية ودينية في بيئة دول حوض النيل، والانعكاسات المتوقعة لذلك على فرص التعاون المستقبلية بين دول الحوض خصوصا في الملف المائي.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

د- المصالح العربية

تشكل تحولات دولة جنوب السودان نحو بيئتها الإفريقية المحيطة على أسس عرقية خسارة عربية كبيرة، بما يمثله الجنوب من نطاق متفهم للعروبة والإسلام مقارنة بباقي بلدان شرق إفريقيا حيث تكون اللغة العربية (أو ما يعرف بعربي جوبا) جسرا رابطا بين القبائل الجنوبية. ويشكل تحول الأوزان الإقليمية في منطقة شرق إفريقيا تهديدا للبيئة الإستراتيجية والأمنية للبحر الأحمر، الذي تم توظيفه على نحو ناجح في حرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣ كبحيرة عربية، خصوصا وأن البحر هو الممر المائي الأهم للنفط المستخرج من الخليج العربي والسعودية نحو أوروبا وأميركا.

التأثير المباشر على اقتصادات الدول العربية في حال تحول البحر الأحمر إلى بيئة مهددة لنقل البترول.

زيادة أوراق الضغط الأميركية والإسرائيلية إزاء المصالح العربية عموما.

تصاعد مصادر التهديد للاستثمارات العربية في منطقة شرق إفريقيا، في سياق فرص الصراع العسكري بين دولتي شمال وجنوب السودان، وذلك في ضوء أن الاستثمارات الزراعية تشكل أحد معطيات الأمن الغذائي في منطقة الخليج، التي تسعى إلى زيادة مساحات الأراضي المزروعة بمحصولات إستراتيجية في شرق إفريقيا، في ضوء ندرة المياه في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي.

خاتمة

إن تصاعد فرص الصراع بين دولتي السودان يهدد مصالحهما المشتركة، وكذلك يهدد بشكل مباشر حياة الملايين من البشر في كلتا الدولتين، وعلى ذلك، فإن من المطلوب تحلى القيادتين الشمالية والجنوبية بالرشادة السياسية التي يمكن أن تهدد بلديهما بخسائر إستراتيجية تصل إلى مستوى انهيار كلا البلدين في المدى المتوسط.





دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

إن على دوائر صناعة القرار في كل من القاهرة وكل من عواصم دول الخليج العربي أن تعي أن سيناريو تحول القرن الإفريقي ليصبح بيئة مهددة للمصالح العربية إجمالاً أمر وارد، ولذا يتوجب التحرك السريع لتحجيم تصاعد مستوى التهديدات في هذه المنطقة عبر دور فاعل للجامعة العربية تحت مظلة تنسيق عربي، وربما يكون على القاهرة دور خاص في هذا المجال فور استقرار مؤسسات الدولة المصرية في يوليو القادم.

مصادر

- ١ - أقدم الرئيس البشير على إجهاض محاولة نافع/عقار في محاولة تأسيس علاقات تعاونية بين شمال وجنوب السودان فيما عرف باتفاق أديس أبابا، كما أقدم على ممارسة تهكما شخصيا على خليفة مالك عقار.
- ٢ - http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2011/09/110922_oxfam_land.shtml
- ٣ - تم حجز سفينة نפט لصالح الجنوب من جانب الشمال، جريدة الحياة اللندنية ٢٠١١\٨\٧
- ٤ - على كرتي وزير خارجية السودان، مداخلة في عيد استقلال السودان، القاهرة ٢٠١٢\١\١
- ٥ - أتيتم قرنق، جريدة الشرق الأوسط اللندنية
- ٦ - على محمود وزير المالية السوداني، جريدة الشرق الأوسط، ١٦ أكتوبر ٢٠١٠،
International crisis group - ٧
<http://www.crisisgroup.org/ar/Regions%20Countries/Africa/Horn%20of%20Africa/Sudan/sudan-after-seperation-alain-arabic.aspx>
- ٨ - الرئيس السوداني عمر البشير خطاب بمدينة القضارف في ١٩ ديسمبر ٢٠١٠
- ٩ - د. أماني الطويل، توازنات الموقف المصري في السودان، جريدة الأهرام ٧ سبتمبر ٢٠١٠
- ١٠ - نبيل القوصي، الأمن المائي، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٦٦

انتهى

